المركز
الثقافي
الإحقافي

عقيدتي في التوحيد

زمزم منصور القطان

2023
2024

المركز الثقافي
الإحقاقي

عقيدتي في التوحيد

زمزم منصور القطان

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com
٢٠٢٣م - ٢٠٢٤م

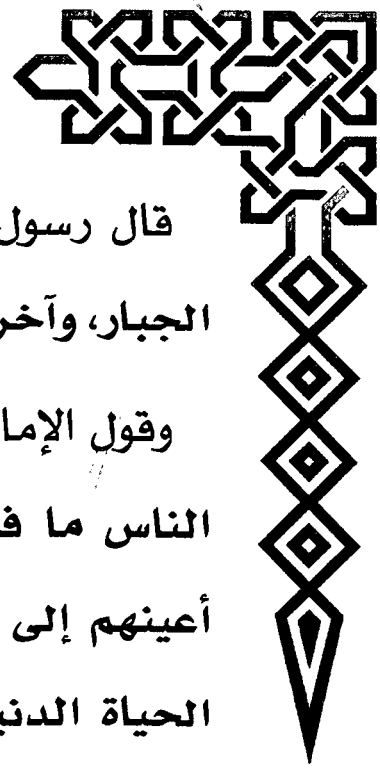

قال رسول الله ﷺ: «أول العلم معرفة الجبار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه».

وقول الإمام الصادق عليه السلام قال: «لو علم الناس ما في فضل معرفة الله ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطأونه بأرجلهم، وتنعّموا بمعرفة الله، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله..».

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

يرتكز منهج الإسلام على ثلاثة محاور هي: العقيدة (أصول الدين)- أحكام شـرعية (فقه) - أخـلاق، هذه الثلاثة متزامنـة لا تنفك واحدة منهـا عـن الأخرى، إلا أن المقـدم فيها هو علم الحكمـة أو ما نطلق عليه العقيدة، طالما دراستنا تدور حول العقيدة.

فماذا نعرف عن عقيدتنا؟

ماذا نعرف عن الله سبحانه وتعالى؟

لأن الكثير منّا يعتقد أن اللهِ عز وجل في السـماء إذا سألته أين الله؟ يقول الله فوق في السماء، وهذا يعني أن الله موجود في السماء ولا يكون في الأرض.

كذلـك وإذا قلنا ما معنى الآية ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾[1] يقـول بمعنـى الرسول ﷺ فـي طرف، والله عـز وجل في طرف آخر، وإذا سألته ما معنى (الله أكبر)؟ يقول معناه أن الله سبحانه أكبر من كل شـيء أي حـدّ الله عز وجل مع أن (الله أكبر) تعنـي أن الله أكبر من أن يوصف أي متنزه.

والآيـة الكريمة في قولـه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] هل يعنـي أن الله عز وجل له يد مثلنا؟

فـي كل الحـالات نحن نُجسـم الله عز وجل، إذن نحـن لا نعرف الله

(١) سورة النجم: آية ٨-٩.
(٢) سورة الفتح: آية ١٠.

سبحانه وتعالى، فكيف ندّعي حبنا إلى الله سبحانه وتعالى ونحن لا نعرفه؟!

وكيف نعبد الله سبحانه من غير معرفة؟ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول: «**أول الدين معرفته**»[1] فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة الصحيحة.

والإمام أبا عبدالله الحسين عليه السلام يقول: «**إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره**».

دراستنا ستكون حول أول أصل من أصول الدين وهو التوحيد تكون قلوبنا معقودة مع الله عز وجل، لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما نظرت إلى شيء إلاّ ورأيت الله قبله وبعده وفيه**»[2].

نسأل الله عز وجل التوفيق والتسديد بالصلاة

على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله

زمزم منصور القطان

---

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم (١)، ص١٤.

(٢) جواهر الحكم للسيد كاظم: ج٦، ص١٤٦.

في التكليف

الله سبحانه لم يخلق العباد عبثاً لأنه حكيم، والحكيم لا يفعل ما لا فائدة فيه، ولما كان غنياً غير محتاج، لأن المحتاج مُحدث، كانت فائدة خلقه للخلق راجعة إليهم ليوصلهم إلى السعادة الأبدية، وذلك متوقف على تكاليفهم.

- التكليف على قسمين:

أولاً: تكليف تكويني. **ثانياً: تكليف تشريعي.**

أولاً: التكليف التكويني:

عبارة عن تقبّل المكلف الوجود والتحقق في الخارج، بعدما كان عدماً في الإمكان، فإذا قبل المكلف الإيجاد، أعطاه الحق تعالى الوجود والخلقة قوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾[1] أي أعطاه وجوده.

زيد قبل التكليف التكويني، كان معدوماً عيناً في عالم الإمكان، ولكنه موجود ذكراً في الإمكان كوجود ذكر اسم زيد وبكر في الدواة.

فالدواة (المحبرة) شبيهة بالإمكان، كل الأسماء موجودة فيها ذكراً معدومة عيناً قوله تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[2]، أي «**كان مقدراً غير مذكور**»[3]، أي غير مذكور عيناً وتحققاً ولكنه مقدر، مثال اسم الله لفظ الجلالة والأسماء المقدسة

---

(١) سورة طه: آية ٥٠.

(٢) سورة الإنسان: آية ١.

(٣) الكافي: ج١- ص١٤٧.

فإنهـا مذكورة فـي الدواة، أي بإمكانها أن توجـد كلمة الله ورسول الله، علـي أمير المؤمنـين عليه السلام ...، ولكن إذا كلفت بالخروج مـن قِبل الكاتب خرجت إلى الشهود والعيان واحترمت في عالم التكوين.

مثـال ثـاني للإمكان والتكويـن، فالإمـكان مثل قطعـة الخشبة الغير محكومة بشيء سوى أنها خشبة، فإذا عمل منها ضريح للمراقد المقدسة أحترمت، وإذا عمل منها صنم أُهينت واحتقرت.

فالمكلف في الإمكان غير محكـوم بسعادة ولا شقاوة، ولكن إذا تحقق وقبل التكليف الوجودي التكويني حينئذٍ حكم بسعادته أو شقاوته، فجميع الخلائق أجمع في الإمكان سواء وبمجرد أُلقي التكليف عليهم تحصصوا إلي مراتب ودرجات بسلسلة تُعرف بالسلسلة الطولية.

- السلسلة الطولية:

وهـي عبارة عن ترتب الموجـودات أولاً فأول، فالذي أجاب دعوة الرب يقـول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، أولاً تحقق وخلق أولاً، وهـو المعني بالسابقين فـي الآية ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]، فـأول الموجودات هـو رسـول الله صلى الله عليه وآله كما روي عـن أبي عبدالله عليه السلام عندمـا سئل «**بأي شيئ سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟**»

فقـال: «**إني كنـت أول من آمن بربـي وأول من أجـاب حيث أخذ الله ميثـاق النبيـين وأشهدهـم علـى أنفسهـم ألست بربكـم، فكنت أنـا أول**

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٢.
(٢) سورة الواقعة: آية ١٠-١١.

نبي، قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل»[1]، فترتيب الخلق وإيجادهم يطلق عليه بالسلسلة الطولية.

- السلسلة الطولية:

١- الحقيقة المحمدية ﷺ.
٢- الأنبياء عليهم السلام.
٣- مؤمنوا الأنس.
٤- الملائكة.
٥- مؤمنوا الجن.
٦- مؤمنوا الحيوان.
٧- مؤمنوا النبات.
٨- مؤمنوا الجماد.

فكلهم ما سوى الله تعالى مخلوقين، وكل مخلوق مُكلف، وكل مُكلف له شعور وإدراك على حسب مقامه ورتبته، لذا كل شيء يسبح الله تعالى على حسبه ومقامه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2]، فكل شيء يسبح الله ولكن لا نفقه تسبيحهم أما الأنبياء والأوصياء فإنهم يفقهون تسبيح الجمادات الصامتات وغيرها. لذا نبي الله سليمان أوتي منطق الطير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

أما أهل البيت عليهم السلام فإنهم أوتوا علم جميع اللغات من الناطقات والصامتات، العلويات والسفليات أجمع. قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة «**وفصل الخطاب عندكم**» أي لغات جميع العالم عند أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الكافي: ج٢- ص١٠.
(٢) سورة الإسراء: آية ٤٤.
(٣) سورة النمل: آية ١٦.

أيضاً روي عن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء»[1].

وفي آية أخرى يقول عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾[2]، ففي هذه الآية المباركة بيان على أن كثيراً من الناس يسجد، وكثيراً حق عليه العذاب بأنه لا يسجد ولا يخضع لله تعالى.

هنا نجد اختلافاً وتناقضاً بين الآيتين الأولى تقول ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، الآية الثانية تقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.

فكيف الجمع بين الآيتين؟

نقول أن التسبيح على قسمين كما إن التكليف على قسمين:

أ- **التسبيح التكويني:** عبارة عن حكاية الأثر عن وجود مؤثر فالتسبيح على هذا المعنى الكل من الصالح والطالح مسبّح لله تعالى لأنه أثر يحكي مؤثره وصانعه وهو الله تبارك وتعالى شاء أم أبى هذا التسبيح.

ب- **التسبيح التشريعي:** عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه من ذكر وصلاة وصيام وغيرها من الشرعيات الصادرة من الحق تعالى.

---

(١) بصائر الدرجات: ص٣٢١.

(٢) سورة الحج: آية ١٨.

فالتسبيح هنا يكون منوطاً باختيار المكلف إن شاء شكر وإن شاء كفر لذلك قال تعالى ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ لأنه لم يختر الهداية والإيمان بالله تعالى وعبادته.

فبالتسبيح التشريعي يحصل التفاوت والتفاضل في القرب والبعد من الله تعالى، كلٌّ على حسب اجتهاده ومعرفته، وهذا التفاضل والتفاوت يطلق عليه السلسلة العرضية.

- السلسلة العرضية:

عبارة عن تفاوت كل مرتبة من مراتب السلسلة الطولية في الفضل عن الأخرى مثل الأنبياء عليهم السلام كلهم في مرتبة واحدة في الطول (في السلسلة الطولية) لكنهم في العرض بالنسبة إلى المعرفة والقرب إلى الباري تعالى يحصل التفاضل والتفاوت قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

كذلك في الإنسان جعل التفاضل في التقوى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

فالسلسلة العرضية هي تفاضل كل مرتبة وحدها، بحيث إن الإنسان مهما بلغ من الرقي والكمال لا يصبح نبياً، كذلك النبات مهما بلغ لا يصير حيواناً وهكذا، بل يترقى في رتبته التي هو فيها لا يتجاوزها إلى غيرها البتة.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٣.

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.

ثانياً التكليف التشريعي:

عبارة عن التكليف بالشرعيات السماوية من العبادات والمعاملات حيث أخذ الحق تعالى هذا التكليف في عالم الذر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1].

الله سبحانه وتعالى في عالم الذر أشهد الخلائق وهم ذر وأخبرهم بالحق عند من يكون والباطل عند من يكون، قال لهم ألست أنا بربكم ومحمد نبيكم وعلي وأولاده المعصومين أولياؤكم وأئمتكم بعدئذٍ افترق الخلق إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم صدق بلسانه وقلبه.
٢- قسم صدق بلسان وأنكر بقلبه.
٣- قسم أنكر بقلبه ولسانه.

فالمصدق بلسانه وقلبه خلق بأحسن صورة، صورة الإنسانية لأنها صورة التوحيد والمعرفة لذا لا يدخل النار والعياذ بالله بهذه الصورة بل تُنزع منه ويلبس صورة بعض الحيوانات من القردة والخنازير وغيرها.

وأما الذي صدق بلسانه وأنكر بقلبه خلق ظاهره طيب حسن بصورة الإنسانية وباطنه خبيث بصورة الشياطين، وصورة الكلاب والخنازير لذا نجد كثيراً من الروايات وبعض المكاشفات[2]، التي تحدث للأولياء

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٢.

(٢) روي أن رجلاً قال لعلي بن الحسين عليه السلام: «بماذا فُضّلنا على أعدائنا وفيهم من هو أجمل منّا؟ فقال له الإمام عليه السلام: أتحب أن ترى فضلك عليهم؟ فقال: نعم، فمسح يده على وجهه وقال: انظر، فنظر فاضطرب وقال: جعلت فداك ردني إلى ما كنت فإني لم أرى في المسجد إلاّ دباً وقرداً وكلباً، فسمح يده على وجهه فعاد إلى حاله». بحار الأنوار: ج٤٦ - ص٤٩.

عندمـا يرون بعض الناس بصورتهم الحقيقية يذعرون خوفاً؛ وأمّا الذي أنكر بلسانه وقلبه فخلقه شيطاناً وهم الشياطين الذين يضلون ويوسوسون في صدور الناس والعياذ بالله من شر شياطين الإنس والجن.

فـالله تعالى خلق كل مكلف على حسب ذكره وإجابته للدعوة في ذلك العالم، لذا قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾[1].

بعدمـا ألقى التكليـف التشريعي جعـل الحق معيـاراً لحقيقة الطاعة ولحقيقة المعصية، فالذي يصيب حقيقة الطاعة، الله تعالى يدخله الجنة وإن أخلّ ببعض التكاليف الشرعية من الصلاة والصوم والحج وغيرها.

والـذي يصيب حقيقة المعصيـة، الله يكبه على منخريه في نار جهنم وإن فعـل ما فعل من الطاعـات والعبادات من قيام الليـل وصوم النهار، كيف ذلك؟

لأن حقيقـة الطاعـة هـي ولايـة علي بن أبـي طالـب عليه السلام، وحقيقة المعصيـة هـي بغض علي بن أبي طالب عليه السلام، كمـا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حـب علـي بن أبـي طالب حسنة لا تضـر معها سيئـة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة**»[2].

أي الناصـب العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام وزوجتـه الصديقة فاطمة الزهـراء عليها السلام وأبنائهـا المعصومين عليهم السلام يدخله الله النـار ولو كان قام ليلـة وصام نهاره قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[3].

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٧١.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٩ - ص٢٤٨.

(٣) سورة الغاشية: ٢-٤.

أمـا مـن أصاب حقيقـة الطاعة فإن سيئاتـه تتبدل يـوم القيامة إلى حسنـات ويدخل الجنة فرحاً مسـروراً قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

فالمؤمـن الذي أصاب حقيقة الطاعة مهمـا كان عليه من الذنوب فإن الله تعـالى يمحصـه عند المـوت أو بعد الموت أو يـوم القيامة حتى يدخل الجنة.

نسأل الله العلي القدير أن يثبتنا على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأهله ويرزقنا حُسن العاقبة.

(١) سورة الفرقان: آية ٧٠.

في التوحيد

التوحيد هو الأصل الأول من أصول الدين ومنكره كافر.

- معنى التوحيد:

هو الاعتراف بوجود الله تعالى، وهو واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وفي عبادته، وتنزيهه عن الشرك، وأنه الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

هل نحتاج إلى دليل لإثبات وجود الله عز وجل؟

أولاً: الفطرة:

لا نحتاج إلى أي دليل أو برهان لإثبات وجود الله عز وجل لأن وجوده أمر وجداني لا شك فيه، جميع العقلاء وجميع الخلق بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم يجدون في أنفسهم أنه لا بد من وجود خالق ومكون ولا بد من وجود رازقاً وهذا أمر فطري عند الإنسان لذلك يقول الرسول الأعظم ﷺ: «**يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه**»[2]، عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام: وأيُّ فطرة يولد عليها؟ قال عليه السلام: فطرة التوحيد، أي أن الأصل في الإنسان يولد وهو مُوحد، حيث أودع الله سبحانه في فطرة الإنسان معرفته كذلك جميع المخلوقات ما من موجود إلاّ ويعرف الله سبحانه ويعرف التوحيد قوله

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

(٢) التوحيد للصدوق: ص٢٩٠.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[1] بـأن القرآن يثبت الفطرة لكل موجود والتسبيح نتيجة المعرفة والعلم والإدراك والشعور والفهم.

أي تأثـير للبيئة علـى الإنسان وتأثير الأم والأب، لكـن لو تُرك الطفل هـو وفطرته تجده يوحـد الله عز وجل بفطرته مـن دون حاجة إلى دليل أو برهـان، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2].

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقـال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربـك حين عبدته؟ قال عليه السلام: ويلك ما كنـت أعبد ربـاً لم أره، قال: وكيـف رأيته؟ قال عليه السلام: «**ويلـك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[3].

إذن الفطرة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى.

- ومن النماذج التي تدل على وجود الله عز وجل بالفطرة:

١- روايـة عـن الإمام الصادق عليه السلام: جاء رجـل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله: دلني على الله ؟ كيف أعرف الله؟

قال عليه السلام: أركبت في سفينه البحر؟ قال: نعم.

قال عليه السلام: وانكسرت فيك السفينة؟ قال: نعم.

قـال عليه السلام: وحينما شارفت على الغرق ألم يتعلق قلبك بأنه لا يُنجيك

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٤.

(٢) سورة إبراهيم: آية ١٠.

(٣) التوحيد للصدوق: ص١٠٩، أصول الكافي: ج١، ص٩٨.

إلاّ واحد؟ قال: نعم، قال عليه السلام: ذلك الذي تعلق قلبك به ليس هو إلاّ الله عز وجل لأنه إذا أنسدت كل الأبواب فلا يوجد إلاّ باب الله عز وجل.

٢- مرّ النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه على إمرأة عجوز تغزل بمغزلها فسألها النبي صلى الله عليه وآله: كيف عرفت ربك؟ فكانت العجوز تُحرك المغزل ثم أوقفته ثم أعادت تحريكه، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه وقال لهم: إن هذه المرأة عرفت ربها[١].

تعجبوا وقالوا: كيف عرفت ربها ولم تنطق بأي كلمة؟!

قال صلى الله عليه وآله: أما رأيتم أنها أوقفت مغزلها، ثم بعد ذلك حركته ثانية؟

قالوا: نعم، وما معنى ذلك؟

قال صلى الله عليه وآله: إن هذه المرأة تقول: كما أن هذا المغزل يحتاج إلى مثلي في حركته وفعله، كذلك الأفلاك، فلا بدّ لها من مدبّر.

فما بال الكون العظيم الفسيح؟! لا بُد أن له خالق خلقه مدبره ومُسيّره في نظام دقيق وهو الله عز وجل.

٣- سُئل أعرابي: كيف عرفت الله عز وجل؟ قال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام تدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير[٢]؟!

هنا الأعرابي ببساطته يدل على وجود الله عز وجل بواسطة العلة والمعلول وأن لكل مصنوع صانع.

---

(١) من كتاب حياة النفس وأصول الدين: ص٨٧-٨٨، وأصول الدين ص٩.
(٢) حياة النفس وأصول الدين : ص٨٨ وص١٠.

٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

سأل أحد الأشخاص الإمام المعصوم عليه السلام: ما معنى إن الله في السماء وفي الأرض؟

قال عليه السلام: ما اسمك؟ قال: محمد.

قال عليه السلام: من أين أنت؟ قال: من الكوفة.

قال عليه السلام: إذا ذهبت البصرة ما إسمك؟ قال: محمد.

قال عليه السلام: أجبت على سؤالك أي أن الله واحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، لا يتغير وأنت محمد سواء كنت في الكوفة أو البصرة أو الشام.

إذن إثبات وجود الله تبارك وتعالى إنما هو أمر فطري وأنه أمر لا يمكن التشكيك فيه بالأدلة الكثيرة التي ذكرناها.

ومن الأدلة التي ينبغي الاستدلال به أو الذي يتناسب الاستدلال به هو دليل العقل.

ثانياً: دليل العقل:

رواية في الكافي أنّه رجلاً (عبدالله الديصاني) دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقال: يا جعفر ابن محمد دُلني على معبودي؟ (وهذا يدل على أن هذا الشخص يريد دليل عقلي)، فالتفت إليه الإمام عليه السلام وقال: اجلس وإذا بغلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال عليه السلام:

---

(١) سورة الزخرف: آية ٨٤.

ناولني يا غلام البيض، فناوله إياها، فقال عليه السلام له: يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، تحت الجلد الرقيق ذهبة مانعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المانعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المانعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري أللذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل الوان الطواوسي أترى لها مدبراً؟ قال فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأنك إمام وحجة من الله على خلقه. هنا الإمام استدل بدليل العقل، العقل والفطرة يدلان على وجود الله سبحانه وتعالى.

سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأس العلم؟

قال صلى الله عليه وآله: معرفة الله حق معرفته.

فقيل: وما حق معرفته؟

قال صلى الله عليه وآله: أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه، وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، لا كفء له ولا مثل له فذاك معرفة الله حق معرفته.

في مراتب التوحيد

التوحيد له أربعة مراتب:

١- توحيد الذات.
٢- توحيد الصفات.
٣- توحيد الأفعال.
٤- توحيد العبادة.

عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن التوحيد، قال عليه السلام: «**التوحيد ألا تتوهمه**».

أولاً: توحيد الذات:

تعريفه: هو الإعتقاد بأنه الله واحد في ذاته لا شريك له.

الأدلة على وحدانية الله:

أ- الأدلة النقلية:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[٣].

ب- الأدلة العقلية:

١- **دليل تشابه المخلوقات:** المطالعة في الكائنات ومشابهة بعضها

---

(١) سورة التوحيد: آية ١.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٢.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

لبعض في العيشة والحياة، فمثلاً الكائنات الحية مثل الإنسان والحيوان والنبات يشتركون في التغذية وفي التنفس والنمو والحركة والتكاثر، وهذا يدل على أن خالقها واحد.

كذلك الذرة مثلاً وما في جوفها من الشموس والكواكب وحركاتها التي تشبه الأفلاك شبهاً كاملاً، والإنسان الذي يمثل العالم الأكبر في طبقات وجوده ودقائق خلقته تدل على أنّ خالق الذرة هو خالق الدرّة وصانع الإنسان وهو مكون الأكوان، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

٢- دليل الفرجة: [2]

تعريفة الفرجة: هي الفاصل بين الشيئين المميز لكلٍّ واحد منهما عن الآخر. فلو فرضنا إلهي اثنين فلا بد أن يكون بينهما فرجة (فاصل) حتى يتميز كلّ منهما عن الآخر.

وهذه الفرجة لا بد أن تكون قديمة مثلهما وإلا إن كانت حادثة وأثرت في القديم لم يكن القديم إلهاً.

فلو فرضناها قديمة تكون الآلهة حينئذ ثلاثة بينهما فرجتان فإذا كانت الآلهة ثلاثة بينهم فرجتان أصبحت الألهة خمسة وأصبحت بينهم أربع فرج، وهكذا تكون تسعة فسبعة عشر.. فتسلسل إلى ما لا نهاية، وهذا باطل.

---

(١) سورة الزخرف: آية ٨٤.

(٢) راجع جوامع الكلم، المجلد الثاني (الرسائل الحكمية) في جواب زاده محمود ميرزا ص٥٣٨.

٣- دليل التمانع:

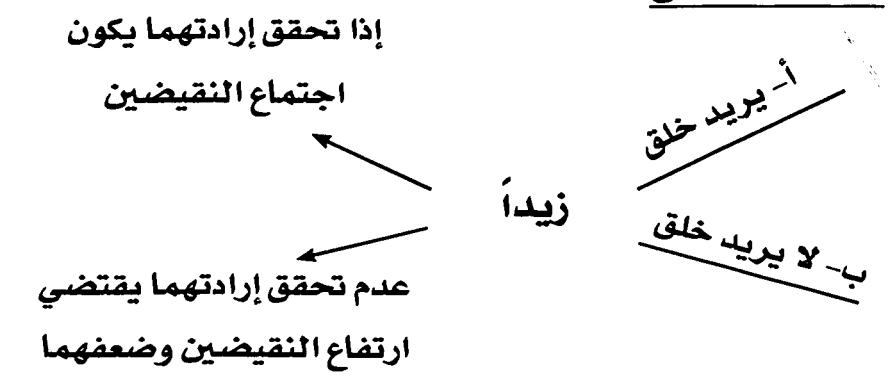

لو فرضنا أن للكون إلهين إثنين فيمكن أن يريد أحدهما أن يخلق زيداً مثلاً ولا يريد الآخر ذلك.

فأما تتحقق إرادة كليهما وهذا محال لأنه مستلزم لاجتماع النقيضين أو لا تتحقق إرادتهما وهذا أيضاً محال لأنه يستلزم ارتفاعهما أولاً، وضعفهما ثانياً فلا يصلحان أن يكونا آلهة، أو تتحقق إرادة أحدهما ولا يتحقق إرادة الآخر ففي هذا الفرض من لا تتحقق إرادته فليس بإله لضعفه،

والذي تتحقق إرادته فهو الله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

قال سبحانه وتعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1].

وبهذا الاستدلال يثبت توحيد الذات ويجب الإعتقاد بأنه واحد لا شريك له في الذات والصفات والأفعال والعبادات.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

ثانياً توحيد الصفات:

تعريفه:

هـو الاعتقاد بـأن لله صفاتـاً ثبوتية[1] هـي عين ذاتـه[2]. مثل نظير الملوحـة بالنسبة للملح أو نظير الرطوبة بالنسبة للماء، يجب الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى صاحب الصفات الكمالية لا يشاركه فيها أحد.

وهي ستة: العلم - القدرة - الحياة - السمع - البصر - والقدم. هذه الصفـات ثابتـة لله تبارك وتعـالى لا تنفك عنه أبـداً. ولا نلتفت إلى من يزعـم بأن الصفات ترجـع إلى السلوبات يعني ليس بجاهل وليس بعاجز لأن إذا سلبنـا الصفات الكمالية لم نثبـت بشيء، فيجب إثبات الصفات له فصفاته عين ذاته.

صفات الله عز وجل الثبوتية الذاتية:

١- العلم:

يجـب الاعتقاد بأن الله عالم بجميع الأمور والأشياء، لا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات والأرضين، عالم بالموجودات قبل وجودها، وعلمه بالشيء قبل وجوده كعلمه بالشيء بعد وجوده ليس فيه تغيير ولا تبديل.

(١) ثبوتية: أي أن هذه الصفات ثابتة لله ولا يتصف بضدها أبداً، فلا يكون في وقت من الأوقات غير عالم، وغير قادر، أي أنه متصف بها على الدوام.

(٢) عين ذاته: هذه الصفات هي نفس الذات لا فرق بينها وبين الذات، كما لا يوجد فرق فيما بين هذه الصفات، فالله يسمع بما يبصر، ويبصر بما يعلم، ويقدر بذاته وحياته، لا فرق بين هذه الصفات وذاته. يعني مثال كوب الشاي فهو يتكون من ماء وشاي وسكر وله طعم حلو ولون معين لا يمكن تجزئة هذه الصفات، ولكن كلها صفة واحدة، كذلك الله جل جلاله هو السميع العليم البصير الحي القادر، لا يمكن تجزئة هذه الصفات كله ذات وصفة (عين ذاته) الفرق بين الله عز وجل وكوب الشاي أن صفات الشاي نعلمها ولكن صفات الله لا نعلمها ولا نعرفها كما أن أجزاء الشاي يمكن أن تنفك وتنتزع أمّا صفات الله لا تنفك، كما أن الشاي يحتاج إلى أجزائه أمّا الله لا يحتاج إلى أجزاء ليس كمثله شيء.

لله عز وجل علمان:

أ- علم قديم: وهو ذاته المقدسة، ولا فرق بينه وبين الذات، وليس لأحد حظٌ من هذا العلم، ولا نعلم بكيفيته أبداً.

ب- علم حادث: وهو ألواح المخلوقات كالقلم واللوح وأنفس الخلائق.

وهذا العلم الحادث هو فعله وهو من جملة مخلوقاته وما يتعلق بها من خلق ورزق وإحياء وإماتة وغيرها.

والدليل قول الإمام الصادق عليه السلام: «**... قال أبو عبدالله: إن لله علمين، علم عنده لم يطلع عليه أحد من خلقه، وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا**»[1].

فقوله عليه الصلاة والسلام «**علم عنده لم يطلع عليه أحد**» إشارة إلى العلم القديم، وهو ذاته المقدسة تعالى.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله**» إشارة إلى العلم الحادث.

٢- القدرة:

يجب الإعتقاد بأن الله تعالى قادر على كل شيء لأنه لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً، والعجز من صفات المخلوق الحادث قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2] كذلك نقول قادر لأنه تعالى غني مطلق وكل ما سواه محتاج إليه في كل شيء.

---

(١) بصائر الدرجات: ج٢، ص١١٠، رواية ٤.

(٢) سورة البقرة: آية ١٠٩.

والله تعالى قادر ومختار أي ليس مضطراً في أفعاله لأن الاضطرار من صفات المخلوق.

٣- الحياة:

يجب الاعتقاد بأن الله تعالى حي لأنه وهب الحياة لمخلوقاته، وخلق الأرض والسموات ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١]، ولا يخلق الخلق ولا يهب الحياة إلاّ الحي القيوم الدائم.

الحياة بمعناها الواسع الحقيقي هي العلم والقدرة، وعليه فإنّ من يملك العلم والقدرة اللامتناهين يملك الحياة الكاملة.

وبالعلم والقدرة يمكن التمييز بين الحيّ وغير الحيّ.

٤-٥- السمع والبصر:

يجب الاعتقاد بأن الله تعالى سميع وبصير، والسمع والبصر عين ذاته يسمع أصوات الداعين وتسبيح المسبحين ومناجاتهم، ويبصر جميع مخلوقاته ويرى أعمالهم ويحيط بأسرارهم من دون آلة السمع والبصر. قوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢]، لأن الأعضاء والجوارح يحتاجه الحادث الضعيف أما الله سبحانه هو الغني والمنزه عن الاحتياج.

٦- القدم:

يجب الاعتقاد بأنه تعالى قديم أزلي، ليس بحادث، لأن:

---

(١) سورة غافر: آية ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: آية١٠٣.

أ- الحادث لا بدّ له من موجد يوجده ويخلقه والله منزه عن ذلك.

ب- أن الحادث يتغير من حال إلى حال فهو لم يكن موجوداً ثم وجد، فهو محدود بالمكان والزمان والله لا تعتريه الحالات ولا تحتويه الأزمنة.

فالإنوجاد والتغيير والموت والعدم هي من صفات المخلوق (الممكن)، والواجب منزّه عنها وهو القديم الأزلي الأبدي ليس قبله شيء ولا بعده شيء وليس كمثله شيء.

بعد أن تعرفنا على الصفات الذاتية لله سبحانه قد يسأل أي شخص وهل هناك صفات ذاتية غيرها؟ نقول: نعم، كل صفة لا يتصف الله بضدها فهي صفة ذاتية مثل: صفة القوة والحكمة والكرم فالله لا يتصف بضدها فضد القوة هو العجز وضد الحكمة هو عدم الحكمة وضد الكرم البخل، طالما هذه الصفات القوة والحكمة والكرم لا يتصف الله بضدها فهي صفات ذاتية لله تعالى، كذلك الإدراك من الصفات الذاتية لأنها فرع العلم.

هل توجد صفات سلبية لا تليق بذات الله تعالى؟

نعم، توجد صفات يجب أن تسلب عن الذات، أي لا يجوز أن نصف الله بها وهي:

١-٢ التركيب والاحتياج:

١- لو فرضنا إن القديم (الله) مركب من حد ومحدود فإن (أ تتكون من حد ومحدود) (ب تتكون من حد ومحدود) وكل منهما يحتاج إلى الآخر، والاحتياج من صفات الحادث (المخلوق) فيكون الفرض باطل لأن الله غني بالذات لا يحتاج إلى مساعد.

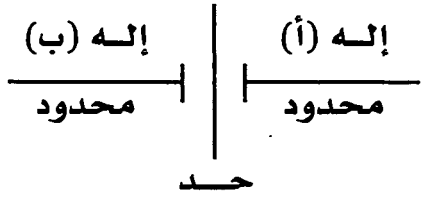

٢- بمـا أن المحـدود (أ)، يتكون مـن (حد ومحـدود) والمحدود (ب) يتكون من حد ومحـدود وكل منهما يحتاج إلى الآخر وكل منهما له بداية ونهايـة، إذن الاثنين يحتـاج إلى التناهي (المـوت) والتناهي من صفات الحادث وليس من صفات الحق وهذا فرض باطل.

٣- الجسمية:

أن الله ليـس بجسم لأن الجسم يحتاج في بقائـه إلى أجزائه، فمثلاً جسـم الإنسان يحتـاج إلى أجزائه من رأس ويديـن ورجلين حتى يعيش، والله لا يحتاج إلى شيء أبداً.

٤- العرضية:

العرض: هو الذي يحتاج إلى غيره لكي يقوم ويظهر، مثل: الصبغ فإنه يحتـاج إلى الجدار لكي يقوم ويظهر، والله سبحانه وتعالى ليس بعرض، لأن العرض يحتاج إلى من يقوّمه ويظهره، والله لا يحتاج لشيء أبداً.

٥- أن ذات الله تعالى لا يحلُّ فيها شيء، ولا يخرج منها شيء قوله عز وجل ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[١].

٦- الله تعـالى لا يمكـن لأحد أن يراه لا في الدنيا، ولا في الآخرة قوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢].

(١) سورة الإخلاص: آية ٣.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

ثالثاً: توحيد الأفعال:

تعريف توحيد الأفعال:

يجب الاعتقاد بأن الخلق والرزق والإحياء والإماتة والإرادة وغيرها من الصفات الفعلية، كلها مختصة لله تبارك وتعالى، ولا تكون إلاّ بأمره ومشيئته، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾[1]، ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[2].

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها**» كيف؟

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يجعل بعض مخلوقاته سبباً للبعض الآخر، أو وسيلة للرزق أو علة للإحياء والإماتة، فجعل الآباء سبباً لوجود الأبناء، والسحاب سبباً لنزول الغيث (المطر)، وحملة العرش هم وسائل للأفعال الأربعة التي بها قوام الوجود، فميكائيل للرزق، وإسرافيل للحياة، وعزرائيل للموت، وجبرائيل للخلق، وهم يستمدون الفيض من الملائكة العالين الذين يحملون العرش فوقهم، قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[3]، فهم يعملون ما يعملون بأمره وإرادته تعالى، لا أنهم شركاء لله في أعمالهم، وليس لهم استقلال ولا طرفة عين أبداً ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

وعلى هذه الحكمة جعل الله عز وجل للأفعال الأربعة التي بها قوام الوجود وهي (الرزق، الخلق، الإحياء، والإماتة) ملائكة موكلين بها.

---

(١) سورة الحشر: آية ٢٤.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٨.
(٣) سورة الحاقة: آية ١٧.
(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٦-٢٧.

بعد معرفتنا لتوحيد الأفعال: هل ممكن أن نفرّق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية؟؟

أ- الصفات الذاتية: هي عين ذاته ولا يجوز نفيها عنه عز وجل، فإن نفي هذه الصفات عن الذات كفر، فلا يقال (العياذ بالله): ليس بواحد، أو ليس بحي، أو ليس بعالم، فإن فرض هذه الحالات السلبية له إلحاد وكفر مطلق.

ب- الصفات الفعلية: هي التي لا ترتبط بذاته أبداً، بل هذه الصفات أثر لفعله فلا مانع من دخول حروف النفي عليها فنقول: رزق ولم يرزق، خلق ولم يخلق، شاء الله أن يجعل عبدالله ملكاً ولم يشأ لزيد.

خلق الله تبارك وتعالى جبال من التراب والأحجار ولم يخلق جبال من الياقوت والزمرد، وهكذا.

وصفاته الفعلية التي قد تثبت وقد تنفي عنه جل جلاله كثيرة والقاعدة المأخوذة عن معارف أهل البيت عليهم السلام بالنسبة إلى صفاته تعالى:

(أن كل صفة يمتنع دخول حرف النفي عليها فهي صفة ذاتية لله وكل صفة لا يمتنع ورود حرف النفي عليها فهي صفة فعلية، ولا ترتبط به ولا تنفك عنه كلياً).

وعليه تكون المشيئة مُحدثة أي مخلوقة أي صفة فعلية وليست ذاتية قديمة، كذلك الإرادة من الصفات الفعلية وليست من الصفات الذاتية لأن الله لا يتصف بالإرادة دائماً، وقد يتصف الله بضدها قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[1].

(١) سورة المائدة: اية ٤١.

كذلك الحال في التكلم فهي من الصفات الفعلية وليست من الصفات الذاتيـة، فيجوز أن نقـول (تكلم ولم يتكلم)، فقد تكلـم مع النبي موسى عليه السلام في جبل طور ولم يتكلم مع فرعون، فموسى كليم الله ولكن فرعون ليس كليماً لله عز وجل.

بعد أن عرفنا الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية يقول أحد المعصومين عليهم السلام: «**الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد**».

وتفسـير قول الإمام المعصـوم: أن الجمع بين الـذات وصفاته الفعلية (بـأن نقـول صفاته الفعليـة) عين ذاته تعـالى زندقة وكفـر لأن صفاته الفعلية تتعلـق بالمخلوقات وهي أيضاً مخلوقـة بمشيئته، ولا يجوز الجمع بين الذات ومخلوقاته لافتراق الخالق والمخلوق.

كذلـك التفرقـة بلا جمـع، كأن نقـول لا مناسبة ولا ارتبـاط كلياً بين الذات والصفات الفعلية، فهذه العقيدة باطلة.

بل نقول «الجمع بينهما توحيد» أي نعتقد أن هذه الصفات ليست عين الذات ولكن مربوطة بالذات بالواسطة وهي مشيئته جل جلاله، وهم عليهم السلام حملة مشيئة الله كما قال إمامنا الحجة عليه السلام: «**بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله**»، وهـم الوسيلـة العظمـى والواسطة الكبرى بـين الله تبارك وتعالى ومخلوقاتـه تشريعاً وتكويناً، قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[1].

وقـد اتفق أعظم علمـاء التفسير من الخاصة والعامـة بأن: المقصود

(١) سورة المائدة: آية ٣٥.

مـن كلمة (الوسيلة) في الآية المباركة هـي الرسول الأعظم صلوات الله عليـه وآله وسلم والعترة الطاهرة عليهم السلام. فالعترة الطاهرة عليهم السلام هم الوسيلة التشريعية والتكوينية بين الحق (الله) والخلق.

رابعاً: توحيد العبادة:

تعريف: هـو الاعتقاد بأنّ العبادة لا تجـوز إلا لله وحده، ولا يليق لها سواه، قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1].

لا يجـوز التوجه فـي العبـادات إلا إلى الله الواحد الأحـد، ولا معبود سـواه مـن دون تصور أحد من الملائكـة المقربين أو الأنبيـاء المرسلين أو الأئمـة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعـين، فتوحيد العبادة لا تجوز إلاّ لفاطـر السمـوات والأرض، فجميع الأعمال يجـب أن تكون لله وحده لا شريـك له، أما لـو كان ذرة لغير الله، لا ترفع ولا تقبل وتكون وبالاً على المكلـف وبعـداً عن الله، قولـه تعـالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٢) سورة الكهف: آية ١١٠.

هل يوجد ارتباط بين الحق والخلق؟

لا يوجد ارتباط بين الحق والخلق لاختلافهما لبعضهما، فالحق سبحانه لا يقترن بشيء ولا يرتبط بشيء ولا يقترن به شيء ولا يرتبط به شيء، لأن الاقتران (الاجتماع) والارتباط من صفات الحدوث.

فأما الاقتران (الإجتماع) من الأكوان الأربعة وهي حادثة مثل: (الاجتماع والافتراق والحركة والسكون) فلا تجري على الله تبارك وتعالى فلا نلتفت إلى من يدعي بأن الارتباط بين الحق والخلق بلا واسطة، فكل الأشياء قائمة بالذات بالواسطة وهي المشيئة، والمشيئة قائمة بنفسها بالله كما قال عليه السلام: «**خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها**».

إذن يوجد ربط بين الحق وخلقه بطريق غير مباشر لأن المباشرة تستدعي التجانس والتجانس من صفات الحدوث.

فالمشيئة هي إرادة الله، هي الواسطة بين الخالق والمخلوق، وأهل البيت عليهم السلام حاملين لهذه المشيئة هذه الإرادة.

فالمشيئة حاملة فعل الله وأهل البيت عليهم السلام حاملين المشيئة ولكن كيف الربط بين المشيئة والخالق؟ لا ندري، من أين جاءت هذه المشيئة؟ لا ندري، ولكن باليقين نعلم أن كل شيء يوجد في السموات والأرض إلا بواسطة المشيئة.

قال الإمام الحجة عليه السلام: «**بل قلوبنا أوعية لهذه المشيئة فإذا شاء شئنا**»، فالمشيئة هي سبب إيصال الفيوضات الربانية إلى المخلوقات بالفعل، والمشيئة حاملة لفعل الله وأهل البيت عليهم السلام حاملين هذه المشيئة،

قال عز من قائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[1] فالوسيلة التي عينها الله بينه وبين عباده ومخلوقاته هي محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

- الربط هو قيام شيء بشيء وهو على أربعة أقسام وهي عبارة عن: القيام الصدوري، والركني والظهوري والعروضي.

أ- القيام الصدوري:

وهو قيام الأثر بفعل المؤثر لا بذات الأثر، كقيام النور بالشمس وليس بينهما فصل ولا وصل، لأن الفصل يستدعي وجود حاجز بينهما هو تمنع عن صدور الأثر عن المؤثر، والوصل يقتضي الوحدة فلا يكون المؤثر مؤثراً والأثر أثراً.

بل نقول أن بينهما ربط ولكن بالوسائط، والواسطة العظمى بين الحق والخلق هي المشيئة وأوعيتها (عبارة عن قلبي المعصوم عليه السلام).

ب- القيام الركني:

أن يكون المقوم ركن المتقوم، كقيام المركب بأجزائه، فالمركب متقوم وأجزائه مقوم، فكل جزء من هذه الأجزاء ركن لقيام المتقوم، ولولا الأجزاء لما تحقق المركب.

مثال: الجهاز الهضمي (متقوم) يتكون من أجزاء وهي (الفم - البلعوم- المريء- المعدة- الأمعاء الدقيقة والغليضة) فكل جزء من هذه الأجزاء ركن في هذا الجهاز ولولا هذه الأجزاء لما تحقق هذا الجهاز.

---

(١) سورة المائدة: آية ٣٥.

كذلك (مثال منطقي) الإنسان (متقوم) يتكون من الجسمية والناطقية (مقوم) فلولا أحدهما لما تحققت الإنسانية.

كقيام المشتقات بالمصادر، فالمصدر هو مقوم للمشتق ومندرج فيه، لأن اشتقاق المشتق من المصدر عبارة عن انضمام المصدر بقيود مختلفة.

مثال: الكتابة (مصدر)

المصدر مقوم للمشتق

المشتقات متقومة بالمصدر قيام ركن

الكاتب (مشتق) — المكتوب (مشتق)

- كلمة كاتب (مشتق) قائم بالمصدر (الكتابة) مع انضمامها بقيد الفاعلية.

- كلمة المكتوب (مشتق) قائم بالمصدر (الكتابة) مع انضمامها بقيد المفعولية. وهكذا..

- المصدر مقوم للمشتق، والمشتقات متقومة بالمصدر قيام ركن.

- لا نلتفت إلى من يزعم أن جميع المصادر اعتبارية غير متأصلة مثل الظل، بالنسبة إلى الشمس، فهو ليس له أصالة بل هو تابع للغير، فبوجود الجدار والشمس وجد الظل.

فجميع المصادر متحققة ومتأصلة، فلو كانت اعتبارية لكانت المشتقات وهي فروع منها اعتبارية أولى، إذن فكلام الفلاسفة خطأ في اعتبارية المصدر.

جـ- القيام الظهوري:

أن يكـون المقوم مظهراً للمتقوم كقيـام نور الشمس بالجدار وقيام كل عال بسافله، فلولا الجدار لما ظهر لنا نور الشمس، لأن النور الذي يتراءى أمامنا هو عبارة عن انكعاس ضوء الشمس عن الجدار، فالضوء الواصل للعين هو أشعة منعكسة.

لـولا الأضداد لما عرفنا الأشياء، فكل عال له سافل، وكل طويل مقابله قصير، وهكذا.

وقـد ثبت أن القيـام الظهوري عبارة عـن ظهور الـذوات الممكنة في المشتقات القائمة بالمصادر قيام ركن.

مثال: القيام (المصدر)

(مشتق) قائم — حسن (الذات)

فظهور حسن (الذات) في المشتق(قائم)، ولولا القيام (المصدر) لما عرفنا حسن.

د- القيام العروضي:

عبارة عن قيام الأعراض بالجواهر (الذوات)

كقيام العرض الخاص وكقيام العرض العام.

بالنوع والجنس، وقيام الألوان بالأجسام.

فنحـن نعلم أن لكل شيء له عرض وذات، الذات هي الصفات التي لا تنفك أبداً منها مثل الجسم.

والعرض هي صفات تنفك عن الجسم مثل الحزن والضحك والحركة والأكل.

فالعرض يوجد خاص مثل الضحك (للإنسان) والعام لجميع الكائنات الحية مثل الحركة. أما قيام الألوان بالأجسام.

مثال: لون الطاولة يعتبر عارض وليس ذات الطاولة.

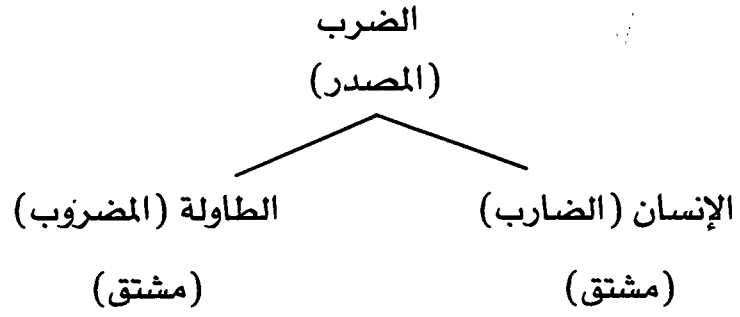

كيفية معرفة الله عز وجل

قد يسأل سائل لماذا خلقنا الله عز وجل؟

البعض يرى وجودنا في هذا العالم صدفة والبعض قال خُلقنا عبثاً لا ندري من أين جئنا ولا ندري إلى أين نذهب؟ والله يقول: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1].

وقسم آخر من الناس يعتقد أن الله عز وجل خلقنا لأنه محتاج إلينا وهذا ليس صحيح لأن الخالق لا يكون محتاجاً لأحد بل هو الغني المطلق والكل يحتاج إليه.

وهذا ما يؤكده الشيخ محمد أبو خمسين: قال الشيخ محمد أبو خمسين في كتابه منار العارفين وبغية العابدين: إنّ ما نقله سيد الموحّدين من التوراة «**يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها لأجلك وخلقتك لعبادتي، فلا تهمل ما خلقتك لأجله وتشتغل في ما خلقته لأجلك**»[2]، وإنما أوجدهم لغاية وحكمة ولا شك أنهما راجعتان إليهم لا إليه تعالى، لأنه غني في حدّ ذاته وكامل في صفاته غير محتاج إلى وجود مخلوقاته لأن الاحتياج نقص وهو منزّه عنه لهذا قال سفيره الإمام الحسين عليه السلام: «**إلهي أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً**»[3].

الجواب على هذا السؤال: أن سبب خلقنا هو لثلاث غايات هي:

١- خلق الله عز وجل الخلق ليوصلهم إلى السعادة الأبدية وإلى الجنة،

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

(٢) منار العارفين وبغية العابدين: ص١٩.

(٣) دعاء الحسين عليه السلام في عرفة.

الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا من أجل النار أو ليعذبنا إنما خلقنا ليظهر جوده وكرمه من خلال وصولنا إلى الجنة وهذا لا يكون إلاّ باستحقاق.

٢- الغاية الثانية التي يتحقق من خلالها الحكمة من وصولنا إلى ذلك المقام العالي هي العبادة التي هي طريق التقرب إلى الله تعالى، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

٣- الغاية المهمة التي لا تكون العبادة إلاّ بها هي المعرفة لأن لا تقرّب إلى الله تعالى إلاّ بمعرفة سابقة له عز وجل لذا كان (أول الدين معرفته) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة**».

إذن الله تعالى ما خلق الخلق إلاّ لعبادته المترتبة على معرفته، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وليس المقصود هنا معرفة الذات (الطريق مسدود والطلب مردود) فمعرفة ذات الله سبحانه محال عقلاً ونقلاً قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[2].

لأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار لعدم وجود مناسبة بين المدرِك والمدرَك وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3].

وقال الإمام زين العابدين؟ في مناجاة العارفين: «**ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك**»، فمعرفتنا عنه سبحانه وجوده، يعني نعلم باليقين بأن للعالم موجد صاحب ومستجمع للصفات الكمالية.

القرآن الكريم يدعو إلى طرق متعددة للوصول إلى الله سبحانه وتعالى والتعرّف عليه ويمكن تقسيم الطرق إلى طريقين أساسيين:

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.
(٢) سورة طه: آية ١١٠.
(٣) سورة الشورى: آية ١١.

الطريق الأول: يعتمد على الفطرة، يعني أنت من خلال فطرتك تستطيع أن تصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وهي الفطرة المشار إليها في الآية القرآنية قوله تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1]، أي أن الله سبحانه أودع في فطرة كل موجود بالخصوص الإنسان أنه موحد، وهذه الفطرة تؤثر عليها مؤثرات خارجية وداخلية وثقافية وإجتماعية وتربوية وعلمية، هذه تجتمع وتكون ريّن على القلب والفطرة فلا يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة، عند ذلك يأتي دور الأدلة والبراهين في الآية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ لتُنبه النفس وتوجيه النفس بأنها عالمة بالتوحيد وهذا هو الطريق الثاني لمعرفة الله سبحانه عن طريق آثار الآيات.

الطريق الثاني: لمعرفته سبحانه هو طريق آثاره والآيات[2] المخلوقة من الآفاق والأنفس كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**دليله آياته ووجوده إثباته**» فالآيات والآثار المطروحة على مسرح الكون كلها تجليات وتعرفات الحق سبحانه بنفسها لا بذاته قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[3]. إذا علم الإنسان بوجود حقيقة التوحيد كامنة في فطرته عند ذلك يستطيع أن يرجع إليها وينتفع بها.

وإذا سألنا أنفسنا كيف نعرف الله عز وجل عن طريق الآثار والآفاق والأنفس؟

---

(١) سورة الروم: آية ٣٠.

(٢) الآثار والآيات كلاهما بمعنى العلامة ولكن الفرق بينهما إن الآثار تدل على المؤثر فقط بينما الآيات هي علامة وفيها إعجاز لذلك سُمّي أمير المؤمنين عليه السلام آية الله العظمى.

(٣) سورة فصلت: آية ٥٣.

العلمـاء يطرحـون مجموعة من الطـرق التي من خـلال التفكر فيها والتدبـر فيها نعرف الله عز وجل معرفـة إجمالية وليست تفصيلية، تلك المعرفـة التي أرادها الله عز وجل منّـا، والطرق لمعرفة الله سبحانه ليس لهـا حصر بل كما قـال بعض العلمـاء: «**أن الطرق لمعرفـة الله عز وجل هـي بعدد أنفاس الخلائق**» وهذا ما أشار إليه بعض الحكماء حينما قال «**وفي كل شيء له آية، تدل على أنه واحد**».

هناك ثلاثة طرق لمعرفة الله عز وجل الآثاريةوهي:

١- معرفة الكتاب التكويني، وهو بدوره عبارة عن:

(أ) العالم الأنفسي (الإنسان)

(ب) العالم الآفاقي (الكون الفسيح).

٢- معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم).

٣- معرفة الكتاب الناطق (أهل العصمة والطهارة).

أولاً: الكتاب التكويني (أ) العالم الأنفسي (الإنسان):

يقصـد بـه الإنسان الـذي يعتبر عالم بحـد ذاته لكن عـالم مصغراً بالنسبـة للعالم الأكبر (الكون) وهذا ما أشـار إليه أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال:

أتزعـم أنك جـرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الإنسـان إذا أراد معرفـة الله عـز وجـل عليه أولاً أن يفكـر في نفسه وجسمه وفـي جميع أعضاءه وأجهزة هذا الجسـم ووظائفها، ودقة هذا النظام ووظيفته الذي إلى الآن عجز العلماء في معرفته.

بالرغم من وصول العلماء إلى أحدث ما وصلوا إليه في الطب والجراحة والاكتشافات إلاّ أنهم عجزوا في معرفة أشياء كثيرة منها الدماغ الذي لا يتجاوز قبضة اليد الواحدة لكنه في كل نقطة في كل من أجزائه نجد أن الله عز وجل جعل لها وظيفة دقيقة متميزة لا يمكن لأحد أن يصنع مثلها.

وخير مثال أن بعض علماء الغرب فريق كامل بعد دراسة طويلة واجتهاد في معرفة وظائف الدماغ أعلنوا بعد مدة إلى اكتشاف عظيم وهو إن مقدمة الدماغ وطبيعته هو مصدر الخطأ والكذب عند الإنسان، فترتب على هذا الاكتشاف مؤتمرات في أنحاء العالم وكان آخرها عقد في مصر (القاهرة) وبعدما عرض العالم الغربي هذا الاكتشاف قابله أحد علماء المصريين المسلمين وقال له أن هذا الاكتشاف اكتشفه نبي الإسلام محمد ﷺ قبل ١٤٠٠ سنة وهو موجود في الكتاب المقدس (القرآن الكريم) ثم قرأ عليه الآية الدالة على ذلك قوله تعالى ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[1].

وبعد البحث الطويل عرف هذا العالم أحقية هذا الدين فاعتنق الإسلام من خلال آية واحدة.

كذلك القرآن الكريم الكتاب يدعو إلى التأمل والتفكر والتدبر في خلق الإنسان قوله ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[2]، فأول ما يدّبر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاثة: قوله تعالى ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى

(١) سورة العلق: آية ١٥-١٦.
(٢) سورة الطارق: آية ٥.

بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾[1]، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض فلا يزال ذلك غذاءه حتى إذا كمُل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء، هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يُغذيه من دم أُمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من العذاء، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد حرّك شفتيه طلباً للرضاع لفترة ثم يحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوي بدنه، ظهرت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام، فيلين عليه ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك.

تأمل حتى البكاء[2] عند الأطفال فيه منفعة وذلك لوجود رطوبة في أدمغة الأطفال إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره، فالبكاء يُسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبها ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، وأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم أمور عظيمة كمن غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخبط وغيرها من الأمراض المتلفة كالفالج، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم

---

(١) سورة الزمر: آية ٦.

(٢) قال الرسول ﷺ: لا تضربوا أطفالهم على بكائهم، فإن بكائهم أربعة أشهر شهادة «أن لا إله إلا الله»، وأربعة أشهر الصلاة على النبي ﷺ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه».

في ذلك من الصحة في كبرهم، فسبحانه ما أجمل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه، وتعالى عمّا يقول المبطلون علواً كبيراً.

- تأمل في أعضاء البدن وفوائد كل منها:

تأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، فإنه خُلق منتصباً قائماً ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان منحنياً على وجهه كذاتِ الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

تأمّل إلى الحواس التي خُصّ بها الإنسان في خلقه وشُرّف بهما على غيره، كيف جُعلت العينان في الرأس ليتمكن من مطالعة الأشياء وجعل العين ذات الشكل اللوزي حتى إذا دخل الغبار والأوساخ داخل العين فبواسطة الدموع ستخرج من زوايا العين، انظر إلى الحاجب مكانه أعلي العين مقوس الشكل حتى لا يصل العرق النازل من الجبهة إلى العين الحساسة جداً، إضافة إلى أنه مضلل للعين وينظم بلونه الأسود نور الشمس للعين لترى بصورة أحسن.

تأمل وانظر إلى أهداب العين سبحان الله كيف جعلها متفرقة عن بعضها بفاصلة شعيرة واحدة حتى تلتحم الأهداف بصورة كاملة تسدّ جميع المنافذ حتى لا يدخل الغبار إلى العين.

- تصوير هام في عدسة العين:

عندما قام زنديق يُجادل هشام بن الحكم: هل يستطيع الله (جل شأنه) أن يجعل الدنيا في بيضة دون أن تكبر البيضة أو تصغر الدنيا؟

وللإطلاع على الإجابة ذهب هشام إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال الإمام عليه السلام: إنه قد فعل، انظر إلى العالم في الخارج، ماذا ترى؟!

قال هشام: أرى السماء والأرض، والجبال والصحراء والأشجار وغير ذلك.

فقال عليه السلام ما معناه: إن الرب الذي استطاع تصوير السماء والأرض وغيرهما في هذه العدسة الصغيرة الموجودة في عينيك له القدرة على كل عمل، ورغم أن بعض الأعمال يَبدو مستحيلة إلاّ أنها لا تعني أبداً أن الله سبحانه وتعالى لا يقدر، إن الله عز وجل لا يُوصفُ بالعجز، بل له قدرة لا يصعب أمامها المستحيل.

تأمّل إذا دققنا النظر إلى الفم نجده مُحاط بشفة علوية وشفة سفلية وكيف تنطبق على بعضها وتمنع تسرب الأطعمة التي يأكلها الإنسان إلى الخارج مما يدلّ على عظمة دقة الصنع، كما إنها وسيلة لخروج الحروف والكلمات من الفم، فكثير من الحروف تظهر بواسطة هذه الشفاه.

أمّا الأسنان فهي مختلفة في شلكها لاختلاف وظيفة كل منها، القواطع في المقدمة لقطع الطعام والأنياب لتمزيق الطعام أما الأسنان الخلفية لطحن الطعام، أما اللسان فهو عبارة عن قطعة لحم تنتشر عليها حلمات تحتوي على خلايا حسية لتذوق الطعام المالحة والحلوة والمرة والحامضة إضافة على ذلك فاللسان يساعد على النطق، فحاول أيها الإنسان أن تتكلم بدون تحريك اللسان هل تفهم شيئاً؟

تأمّل في الأنف وانظر إلى الفتحتان في الإتجاه السفلي حتى يُسهل نزول الأوساخ إلى الأسفل، وبداخل كل فتحة شعيرات مُحاطة بمادة لزجة حتى يتم ترطيب الأنف ومنع الأجسام الضارة من الدخول.

تأمّـل الأذنان على جانبي الوجـه تبدأ كل أذن بصيوان لجمع الموجات الصوتيـة إلى الأذن الوسطى (قناة سمعيـة) مزودة بطبقة شمعية حتى تمنـع دخول الأجسام الغريبـة إلى الأذن الداخلية وهي عظيمات صغيرة مهمة للسمع والتوازن للجسم، فسبحان الله الذي أحسن التقدير وأحكم التدبـير وله الحمد كما هو أهلـه كيف خلق وجه الإنسان بصورة إبداعية دلـت على عظمة الخالق، لذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**عجبت لابن آدم يسمع بعظم وينظر بشحم**».

تأمل وتفكّر في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير، فالرأس ممّا خلق فرداً ولم يكن للإنسـان صلاح في أن يكون له أكثر من واحـد لأن الحواسّ التي تحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد.

واليـدان مما خلق أزواجـاً ولم يكن للإنسان خير فـي أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يُخِلُّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء، ألا ترى أنّ النجـار والبنّا لو شلّت إحدي يديه لا يستطيـع أن يعالج صناعته، وإن تكلّـف ذلك لم يُحكمه، ولم يبلغ منه ما يبلغـه إذا كانت له يدان تتعاونان على العمل.

تأمّـل أيها الإنسان على ما أنعـم الله عليك من هذا النطق الذي تُعبّر به عمّـا في ضميرك وما يخطر بقلبك ولولا ذلـك لكنتُ بمنزلة البهائم المهملـة التي لا تخبر عن نفسها شيء، كذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضـين للباقـين، وأخبار الباقين للآتـين، وبها تُخلّد الكتـب في العلوم والأداب وغيرها، ولولاها لانقطع أخبار بعض الأمنة عن بعض.

تأمّل أيها الإنسان في العظام وما في وسطها، كيف جمع وربط بين ٢٤٨ عظماً؟

الإمام الصادق عليه السلام يقول ما معناه: في اليد أربعة وثلاثون عظماً، وفي كل إصبع ثلاث قطع من العظام فكيف ربط بينها؟ كيف حفر وسط كل عظم (للتدهين) وهذا الدهن هو نفس نخاع العظم لكي تتمكن العظام والمفاصل أن تستمر في العمل، ولو تُلف عظم في الخاصرة أو الرجل أو الصدر فإن جميع هيكل البدن يتوقف عن العمل.

العروق جداول في البدن: يضيف الإمام الصادق عليه السلام ما معناه: هناك ثلاثمائة وستون عرقاً أصلياً في البدن عدا العروق الفرعية الكثيرة جداً وكل عرق هو جدول لجريان الدم، ولو عطل واحد فإن الشخص يُصاب بالشلل، ولو كان العرق يرتبط بالمخ فإن الشخص يُصاب بسكتة أو بجلطة مخية.

فسبحان الله من أحسن التقدير وأحكم التدبير، فبعد هذا التأمل والتفكر في بعض أعضاء جسد الإنسان، فالواجب على كل مكلف أن يجتهد في معرفة ربه على قدر إمكانه وقدرته فإنها وسيلته الوحيدة في سعادة دنياه وآخرته.

فيجتهد في معرفة نفسه وحقيقته التي هي الطريق إلى معرفة ربه، فيسلك سبيل المؤمنين ويتبع شريعة سيد المرسلين ومذهب آله المعصومين، ويعمل بالكتاب والسنة، ويرتاض في تصفية نفسه بعمل المستحبات ويتجنب المكروهات ثم يتخلق بالأخلاق الكريمة وبعمل الأعمال الصالحة ويخالف هواه ويتبع أمر مولاه، فيصبح ناجحاً ويتيسر له معرفة نفسه،

فيسهل له معرفة ربه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه، فقد عرف ربه»[1].

سُئل النبي صلى الله عليه وآله: «من أعرف الناس بربه؟ قال أعرفهم بنفسه»[2]، فكل من هو أشد في تصفية نفسه في أعراضه عن العلاقات الدنيوية فهو أحق وأقوى في معرفتها.

(ب) العالم الآفاقي (الكون الفسيح):

وهو الكون الفسيح لذلك عندما يتفكر الإنسان في هذا العالم اللامتناهي المليء بالمجرات والكواكب والشموس وحركاتها الدقيقة والتوازن بين المجرات والسيارات وحفظ المسافة بينها إذ أنه من الأسرار العجيبة وأعجب من ذلك كله قانون الجاذبية ودقة عمل التوازن والتعادل في حفظ النظام بينها.

إلى الآن العلماء عجزوا عن معرفة الكثير من عجائب هذا الكون الفسيح كلما تقدّموا في أبحاثهم، كلما تعرّفوا على عالم أرحب واكتشفوا كوكباً أشد ضياءاً تزداد حيرتهم ودهشتهم ويصابون بالدوار لمشاهدة العالم الأرحب والفضاء الأوسع قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[3].

---

(١) المعرفة الحقيقة هي معرفة النفس التي هي كنه الشيء من ربه لأنه تعالى خلق الإنسان وأول كونه كانت له حقيقة من ربه وحقيقة من نفسه، فالتي من ربه هي النور المعبر عنه تارة بالماء وتارة بالوجود، وتارة بالنور كما قال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» أي بنوره الذي خلق منه، أما كنهه من نفسه هي الظلمة وهي الصورة وهي المسماة بالماهية، جوامع الكلم: ج١، ص٢٠٣.

(٢) الكلمات المحكمات: ص٨٧، جوامع الكلم: ج١، ص٢٠٠.

(٣) سورة الذاريات: آية ٤٧.

من المعجزات الإلهية (معجزة الماء بين التقدير والتدبير):

١- قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1].

من المعجزات الإلهية التي حيّرت عقول العلماء أن الماء المالح في البحر يوجد فيه بعض الأحيان ينبوع للماء الحلو الزلال، ومع ذلك يظل الماء المالح بمعزل عن الماء الحلو بدون أن يختلط به، مما يسمح للبحارة بأن يتزودوا من الماء الحلو في الأمكنة المحددة التي يعرفونها، هذان الماءان لا يختلطان مع بعضهما وكأنه بينهما غشاء شفافاً يمنعهما من الامتزاج رغم تجاورهما، وهو ما عبّر عنه القرآن بالبرزخ حيث قال عنه ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.

وفي هذا الصدد لا بأس أن نذكر هذه القضية: أنه كان أحد علماء الطبيعة يدعى (ميشيل كوستو) وهو عالم فرنسي كانت دراسته في البحار لاحظ هذه الظاهرة وهو عدم امتزاج المياه المالحة بالمياه الحلوة، وكأن بينهما غشاء ولكنه لم يعرف تعليلاً لذلك وبالصدفة سمع عن طريق الإذاعة أحد مقرئ القرآن وهو يتلو هذه الآية ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ فانجذب لهذه الآية وسأل عن معناها فقالوا: إذا التقى بحر الماء المالح مع بحر الماء العذب فإنهما لا يختلطان ببعضهما، وكأن بينهما برزخ أي حاجز يمنعهما من الامتزاج، عند ذلك سجد العالم كوستو لله تعالى وأعلن إسلامه وإيمانه بالقرآن وأنه مُنزل من عند الله تعالى.

هذه الظاهرة تحدث أيضاً عند مصبات الأنهار في البحار، فإن ماء

---

(١) سورة الرحمن: آية ١٩.

النهـر الذي يتوغل في البحر عدة كيلومترات يظل محافظاً على عذوبته رغم التقائه بماء البحر على الرغم من حركة ماء البحر وموجاته، وهذه الخاصيـة تسمـح لأسماك الأنهار بمغادرة النهـر إلى البحر والعيش فيه دون أن تلتقي بالماء المالح الذي يؤذيها لعدم تعودها عليه.

فسبحـان من قدّر الأشياء ورسمهـا، ودبّر الوسائل وسخّرها، فهو رب العالمـين وخالقهم، خلق كل شيء ولم يتركه هملاً بل يتولاه ويربيه في كل آنٍ وحين.

٢- قولـه تعـالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١]: من أروع الأمثلة على هذا التقديـر وهذا التدبـير (مركب الماء) الذي يتألف مـن اتحاد عنصرين غـاز الأكسجين وغاز الهيدروجـين بسنة ١:٢، وقد وجـد أن هذا المركب انفـرد عن جميع المركبات الكيميائية بخصائص تجعله في كل صفة من الصفات متميزاً على جميع المركبات.

أولاً: نجـد هـذا المركـب (الماء) يوجد فـي ثلاث حـالات (الصلبة، والسائلة، والغازية) ولا نجدها في أي مركب آخر.

كمـا إن الحـرارة النوعيـة للمـاء مرتفعة جـداً وهي تسـاوي الواحد (حريـرة) وهـي درجة فائقة مـن الأهمية وفي منتهـى التقدير المعجز، فالمـاء كما هو معلوم يغطي حوالي ثلاثة أربـاع سطح الكرة الأرضية فهو يقـوم بدور تلطيف حرارة الجـو المحيط بالأرض لصيانـة حياة الإنسان والكائنات الحية المختلفة، فلو لم يكن للماء هذه الحرارة النوعية العالية لـكان أقل ازدياد للحرارة علـى سطح الأرض يميت جميع الأحياء كما أن

---

(١) سورة القمر: آية ٤٩.

أقل انخفاض في الحرارة يمكن أن يجمد المخلوقات جميعاً، فيأتي دور الماء الهام في حرارته النوعية العالية ليمتص كل غرام منه (حريرة) كاملة كلما ارتفعت درجة حرارته درجة واحدة، فهو يبتلع كميات كبيرة من الحرارة لترتفع درجة حرارته مقداراً صغيراً، كما أنه عند حدوث البرودة فإنه يعطي كميات كبيرة من الحرارة دون أن تنخفض درجة حرارته كثيراً.

من ذلك نستنتج أن الماء يعدّ من أعظم المنظمات للحرارة على سطح الأرض لا سيما بين الليل والنهار وصدق سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

كذلك الكثافة العظمى للماء: حيث نعلم أن الأجسام الصلبة تغوص في الماء بسبب الكثافة ولكن التقدير فائق في الإبداع جعل الله سبحانه وتعالى الجليد أخف من الماء (أي كثافة أقل) فهو عندما يتجمد عوضاً عن أن تزيد كثافته فإنها تنقص، فعندما تصل حرارة الماء في البلاد الباردة في الشتاء إلى +٤ ثم تنخفض، فإن الماء الذي درجته +٤ يهبط إلى أسفل المحيطات لأنه كثافته عظمى، ونجد فوق الماء الذي درجته أقل إلى أن تصل إلى السطح حيث نجد الجليد المتكون طافياً وهذا (الجليد) يشكل طبقة عازلة تعزل الماء العميق عن برودة الجو وبهذا يضمن حياة الكائنات البحرية فسبحان القادر المقدر الخالق البارئ المصور.

بعد أن عرفنا بعض الخصائص المدهشة لهذا السائل السحري (الماء) نجد أنفسنا في دهشة أكبر حين نتذكر أن من هذا السائل خلق الله سبحانه كل أنواع المخلوقات مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا

(١) سورة الذاريات: آية ٢١.

مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، فالماء يدخل في تركيب بعض النباتات بنسبة ٩٩٪، بينما في الحيوان والإنسان فنسبته تزيد عن ٧٥٪، فالماء تدخل في تركيب جميع خلايا الجسم فإذا نقصت كمية الماء في الجسم لم تعد هذه الخلايا قادرة على القيام بوظائفها الخاصة، لذا نرى أن الإنسان يستطيع أن يعيش بدون طعام شهراً كاملاً أو أكثر ولكن لا يستطيع أن يعيش بدون ماء أكثر من عدة أيام، فكل خلية في الجسم بنيت وصممت بحيث يكون الماء هو وسيط استمرار الحياة فيها.

هناك الكثير الكثير عن معاجز الماء وخصائصه ولكن العجيب أن قوة ثبات مركب الماء الذي يتألف من عنصرين الهيدروجين والأوكسجين يتحدان بشكل قوي جداً مما يجعل مركب الماء من الصعب تفكيكه إلاّ في الدرجات الحرارة العالية أو بطريق التحليل الكهربائي بواسطة جهاز (ڤولنا ميتر هوفمان) يمكن بواسطته تحليل الماء إلى هيدروجين وأوكسجين بسهولة وكان هذا بعد اكتشاف الكهرباء.

هناك نكتة لطيفة ترتبط بهذا الموضوع وهو أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مرة من المرات بعد فراغه من إحدى الغزوات ماراً مع أصحابه أمام نهر الفرات وبيده قضيب، فجعل ينثر به ماء النهر ويقول: لو شئت لجعلت لكم من الماء نوراً وناراً، فتعجب القوم من قوله ولم يفهموا مقصوده حتى جاء العصر الحديث ليُبين لنا أن الماء يتألف من عنصرين أساسيين هما من أهم العوامل المساعدة على الاحتراق وتوليد الطاقة الحرارية. سبحان الله كل شيء مقدّر تقديراً عجيباً.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٠.

والإمـام الصـادق عليه السلام يقول فـي مضمون حديثـه: «**أتعتقـدون إن عالمكـم هـذا هو العالم الوحيد في هـذه الدنيا، إن وراء عالمكم هذا ألف عالم وألف آدم**» [1].

- تطابق الآفاق والأنفس:

مـن جانب آخر أمير المؤمنين عليه السلام يأمرنـا بالتفكر والتدبر في هذا العالم الأكبر لأنه طبق العالم الصغير الذي هو وجوده كما قال عليه السلام:

أتزعم أنك جرام صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفـه يظهـر المضمـر

كل مـا هو موجـود في العالم الخارجي موجود فـي النفس الإنسانية، ففي وجود الإنسان ذاته يتمثّل النهار والليل وهذا يظهر في جهاز الدورة الدموية فـي الجسد، ففي القلب تجري تصفية الدم الذي يجري نظيفاً صافياً في الشرايين كالنهار منتشراً في أجزاء الجسم كافة ثم يعود دم أسـود من كل جـزء وصل إليه حاملاً معه المخلفـات -كالليل- إلى القلب ثانية عن طريق الأوردة حيث تجري تصفيته من جديد.

وروحـك أيضـاً فيها نهـار وليل، فليلُهـا الغفلة عن الله فهـي مُظلمة، ونهارها ذكر الله، فذلـك القدر من عمرك الذي قضيته بذكر الله يكون منيراً.

---

(١) وعن النبي صلى الله عليه وآله: أن لله سبعين ألف حجاب (أي عالم) وفي رواية سبعمائة وفى أخرى سبعين، شرح الزيارة الجامعة: ج٤، ص٢٠٠.
وقال الإمام المجتبى عليه السلام: أن لله سبعين ألف عالم وبكل عالم سبعين ألف آدم وأنا الحجة عليهم، وفي رواية (ألف ألف عالم).

وتوجد أنواع مختلفة على الأرض من المياه العذبة - المالحة - المرة والعكره، هذه المياه موجوده في الإنسان الماء العذب موجود في اللعاب الموجود على اللسان، والماء المالح يتمثل في الدموع حتى تحافظ على عدسة العين والماء العكر الذي ينزل من أنف الإنسان وماء المرة هو السائل الموجود في الأذن حتى تمنع دخول الحشرات كذلك الأشجار الموجودة في الطبيعة هي إشارة إلى الشعر الذي ينبت عند الإنسان، والأنهار إشارة إ لى العروق حتى العرش في العالم القلب في الإنسان والكرسي في الكون هي بمثابة الصدر.

بعد مطابقة العالم الصغير مع العالم الأكبر يصل الإنسان إلى نتيجة إنّ الذي خلقني وخلق هذا الكون هو إله واحد لا شريك له لأن إبداعه واحد وقدرته واحدة ولتشابه مخلوقاته في الدقة والإحكام والإتقان والأبداع قوله تعالى ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[1] وقوله ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2] نظام دقيق في جميع أجزائه.

نعم، المطالعة بالكتاب الأنفسي تحل مشكلات الآفاقي، وتظهر ضمائره وتكشف أسراره فيدرس معارفه ويطلع على نواميسه ويقرب من مرتبة سلمان الفارسي الذي قال في حقه سيد الكائنات ﷺ «**لو كان العلم منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس**»، كذلك الحديث المشهور: «**سلمان منّا أهل البيت**»، لقد وصل سلمان الدرجة العاشرة

(١) سورة الملك: آية ٣.
(٢) سورة يس: آية ٤٠.

ليس بكثرة صلاته وصيامه وإنما بكثر التدبر كما ورد عنهم عليهم السلام: «**إن تدبر ساعة خير من عبادة سبعين سنة**».

إذن من خلال معرفة الإنسان للعالم الأصغر (الأنفسي) والعالم الأكبر (الآفاقي) يستطيع معرفة الله تبارك وتعالى ولو بصورة إجمالية.

ومعرفة الله عز وجل على قدر معرفة آياته وصفاته قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1]، معرفة هذا الأعرابي الجاهل بالله عز وجل لطول عنقها وقوة قوائمها وتحملها مشاق الأحمال والأسفار وصبرها على الجوع والعطش هذه المعرفة هي المطلوبة من ذلك الأعرابي، وهي غير معرفة ذلك الفلكي الذي ينظر إلى عجائب المحيط الكبير ويشاهد أعماق السماء من وراء المكبرات (تلسكوبات) ويطالع جمال الأفلاك ونظام الثوابت والسيارات، وحركة الكواكب والأقمار وتأثير نواميسها (أسرارها) في الحياة، وقوة جاذبيتها، فلا بد لنا الاعتراف بأن معرفة هذا في وجود الصانع وعظمته أفضل وأدق وأعلى من توحيد هذا الإعرابي، لذلك فإن الإنسان كلما ارتقى في العلم والمعرفة والاطلاع كلما كانت معرفته بالله أقوى وأعظم لذلك أكثر الناس معرفة بالله خلال الآثار هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) سورة الغاشية: آية ١٧-٢١.

- سبحان من خلق هذا الكون بتوازن يذهل العقول:

فـي عام ١٩٥٨م أمر الزعيم الصينـي شعبه بقتل جميع أنواع (طيور الـدوري) لأنها تـأكل المحاصيل وتقلل من الإنتـاج الزراعي، وبالفعل بدأ الفلاحـين يقتلون عشـرات الآلاف من طيور الـدوري، وكان كل من يقتل أكبر عدد يتلقـى جوائز ومكافآت ويعامل معاملة الأبطال الوطنيين، لكن انتشـر لاحقاً الجراد الذي كانت تأكله طيـور الدوري بشكل مأساوي في جميـع أنحاء البـلاد، قاضياً علـى المحاصيل، فكان ذلـك أحد الأسباب الرئيسية لمجاعة الصين الكـبرى عام ١٩٦٠، والتي تسببت بوفاة خمسة عشر مليون إنسان بالجـوع، فالأرزاق قسّمها الله بحكمة وتكفي للجميع، فسبحان من خلق هذا الكون بتوازن يذهل العقول.

ثانياً: معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم):

ما من صنعة أو اختراع يكون سرّها بيد الصانع أو المخترع إلاّ وينكشف سرّها من قِبل الآخرين، فيصنعون مثل ذلك من الآلات والمكائن الكهربائية والإلكترونية المختلفة بل يضيفون أنواعاً جديدة إلى اختراعاتهم إلاّ القرآن الكريم (الكتاب التدويني) الذي نسخ التوراة والإنجيل وجميع الكتب السماوية، ولم يوجد حتى الآن ما ينسخه، ولن يجيء ما ينسخه أبداً.

لقد أودع خالق القرآن وربّه سرّاً خفياً بحيث يمتنع على الناس الإحاطة به، لقد حيّر جميع العلماء والعرفاء وفطاحل الفصاحة والبلاغة هذا السرّ وهو (روح القرآن) الذي نزل من عالم الأمر.

حتى الإتيان بسورة أو آية واحدة مثل القرآن لا يستطيعون الإتيان بمثله إنما هو فوق قدرة الإنسان وجميع ما سوى الله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1]، كأنّ تقول الآية لهم: القرآن الذي تسمعونه بلغة عربية وبيان رفيع وأنتم تتقنون اللغة العربية والبيان والبلاغة فأتوا بكلام مثل هذا القرآن في بيانه وفصاحته وبلاغته، فالقرآن هو الكتاب الكامل كل ما فيه غاية في الدقة والإتقان، وهو أسمى وأعلى من مستوى عباد الله، وكلما ظهرت اكتشافات جديدة اتضحت معاجز القرآن الكريم.

وكلما اتسعت العلوم والمعارف اتضحت حكمة هذا الكتاب، وعظمة الإعجاز فيه أكثر.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٨.

معجزات القرآن الكريم لا تعدّ ولا تحصى، فالقرآن الكريم كله من أول حرف فيه إلى آخر حرف معجزة، وسنذكر بعض هذه المعجزات التي وردت في القرآن الكريم وقد حيرت الكثير من العلماء والمفكرين في أنحاء العالم.

١- قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[١]، ألقيت هذه الآية في المؤتمر العلمي للإعجاز القرآني الذي عقد في القاهرة لما سمع البرفيسور الياباني (يوشيدي كوزاي) تلك الآية نهض مندهشاً وقال لم يصل العلم والعلماء إلى هذه الحقيقة المذهلة إلاّ منذ عهد قريب بعد أن التقطت كاميرات الأقمار الاصطناعية القوية صوراً وأفلاماً حية تظهر نجماً وهو يتكون من كتلة كبيرة من الدخان الكثيف القاتم ثم أردف قائلاً: إن معلوماتنا السابقة قبل هذه الأفلام والصور الحية كانت مبنية على نظريات خاطئة مفادها أن السماء كانت ضباباً.

وقال بهذا نكون قد أضفنا إلى معجزات القرآن معجزة جديدة مذهلة أكدت أن الذي أخبر عنها هو الله الذي خلق الكون قبل مليارات السنين.

٢- قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ[٢] وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٣]، وقد أثبت العلم الحديث أن السماء تزداد سعة باستمرار فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقيقة في تلك العصور المتخلفة؟ هل كان يملك تليسكوبات وأقماراً اصطناعية؟ أم أنه وحي من عند الله خالق هذا الكون العظيم؟ أليس هذا دليلاً قاطعاً على أن هذا القرآن حق من الله؟

---

(١) سورة فصلت: آية ١١.

(٢) بأييد: معناه القدرة والقوة أي قدرة الله المطلقة العظيمة في خلق السماوات.

(٣) سورة الذاريات: آية ٤٧.

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]، وقد أثبت العلم الحديث أن أي كائن حي يتكون من نسبة عالية من الماء وإذا فقد ٢٥٪ من مائة فإنه سيقضي نحبه لا محالة لأن جميع التفاعلات الكيماوية داخل خلايا أي كائن حي لا تتم إلا في وسط مائي، فمن أين لمحمد ﷺ بهذه المعلومات الطبية؟ هذا يدلّ على أن القرآن الكريم حق من الله.

٤- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٢].

كلنا نعلم أن الجبال ثابتات في مكانها، ولكننا لو ارتفعنا عن الأرض بعيداً عن جاذبيتها وغلافها الجوي فإننا سنرى الأرض تدور بسرعة هائلة (١٠٠ ميل في الساعة) وعندها سنرى الجبال وكأنها تسير سير السحاب أي أن حركتها ليست ذاتية بل مرتبطة بحركة الأرض تماماً كالسحاب الذي لا يتحرك بنفسه بل تدفعه الرياح، وهذا دليل على حركة الأرض، فمن أخبر محمداً ﷺ؟ أليس الله عز وجل؟

٥- قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[٣]، وهذا ما أثبته العلم الحديث إذ أن من فوائد الرياح أنها تحمل حبات الطلع لتلقيح الأزهار التي ستصبح فيما بعد ثماراً، فمن أخبر محمداً ﷺ بأن الرياح تقوم بتلقيح الأزهار؟ أليس هذا من الأدلة التي تؤكد أن هذا القرآن كلام

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٠.
(٢) سورة النمل: آية ٨٨.
(٣) سورة الحجر: آية ٢٢.

الله؟ فسبحان الله الذي أحسن التقدير وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله.

ولا يزال هذا الكتاب التدويني (القرآن الكريم) كالكتاب التكويني (الآفاقي) غير مكشوف، ومستتراً عن أفهام الباحثين فلم يكشف إلاّ عن جزء ضئيل من حقائقه، قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1].

ثالثاً: معرفة الكتاب الناطق (أهل البيت عليهم السلام):

وهو الطريق الأفضل والأهم في معرفة الله سبحانه وتعالى، لأن معرفتنا لله عز وجل لا تكون إلاّ عن طريق النور المقدس وهم الصفوة المقدسة التي خلقها الله من نور عظمته وجلاله وأودع فيها جميع الصفات الإلهية الجمالية والجلالية التي يتصف بها كما هو في الحديث القدسي: **«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»** وفي دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام **«يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته»**.

فأوجب سبحانه علينا معرفة مظاهر مشيئته، وألسن إرادته وسفرائه في خليقته وطاعتهم إذ سبقونا إلى إجابة دعوته عند تكليفنا إلى معرفته وطاعته وفاقونا في إخلاص حبّه وعبادته واستحقوا منه تعالى ذلك لذلك امتحاناً منه سبحانه لرعيّته، وإتماماً لحجته، لأنه جعل ذلك شرط معرفته وطاعته، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2]،

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧.

(٢) سورة النساء: آية ٨٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[1]، وفي الحديث القدسي: «**من أحبّك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أطاعتك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني**»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «**... من عرفنا فقد عرف الله ومن جهلنا فقد جهل الله ومن ردّ علينا فقد ردّ على الله ومن اتبعنا فقد أطاع الله، ومن تولى عنّا فقد تولى عن الله ومن شك فينا فقد شك في الله**»[3].

وفي الزيارة الجامعة القصيرة عندما نزور أهل العصمة نقول: «**السلام على الأدلاء على الله، السلام على الذين من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله**».

أول هذه الصفوة المقدسة هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله رسوله وحجته على خلقه وهو أول نور خلقه الله سبحانه من نور عظمته «**أول من خلق الله نور نبيّك يا جابر**» ومن هذا النور اشتق نور علي بن أبي طالب عليه السلام، فأودع الله تعالى في النور الأول النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله والنور الثاني الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا من محمد كالضوء من الضوء**»[4].

وعندما سئل النبي صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم

---

(١) سورة الفتح: آية ١٠.
(٢) الكافي: ج١، ص٤٤٠-٤٤١.
(٣) الآمالي: ص ٧٥٥.
(٤) مخازن جواهر أسرار التنزيل: ص١٤٥.

وخاتمهم؟ قال ﷺ: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب بـ «بلى» عندما أخذ الله منّا الميثاق في عالم الذر.

وما عرف الرسول ﷺ حق المعرفة إلا الله سبحانه وعلي عليه السلام قوله ﷺ: «**يا علي ما عرفني حق المعرفة إلاّ الله وأنت يا علي**»[1].

طالما مقام الرسول ﷺ هو مقام الإجمال[2] فمعرفة الله سبحانه لا تأتي إلا عن طريق معرفة الإمام لأنه في مقام التفصيل.

وكل زمان من بعد وفاة النبي ﷺ حجة، وحجج الله بعد الرسول ﷺ اثني عشر إمام أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الحجة بن الحسن عليه السلام.

ولم يعرف أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ الله العليم ورسوله الكريم ﷺ كما قال ﷺ: «**يا علي ما عرفك إلاّ الله وأنا**»[3]، وقال عليه السلام بنفسه «**ظاهري إمامة وباطني غيب منيع لا يُدرك**»، وهذا إن دلّ، دلّ على مقامه الشامخ.

إن عظمة أمير المؤمنين عليه السلام أسمى من أن ينالها الفكر الإنساني، أو يسهل على البشر أن يتعرفوا على حقيقته، ويحيطوا بأغواره، فكل ما يقال عن الآية الكبرى، والنبأ العظيم، فإنما هو قطرة من المحيطات وذرة في مقابل الشمس لذلك يقول عليه السلام: «**نزهونا عن الربوبية، وقولوا ما شئتم، ولن تصلوا**» فهم ليسوا آلهة وليسوا شركاء لله تعالى، وليسوا وكلاء عن الله، ولم يفوّض أمر الإيجاد إليهم إلاّ بمشيئته، يصلهم

(١) حياة النفس وأصول الدين: ص٨٢.
(٢) كذلك مقام القرآن الكريم هو مقام الإجمال والسنة النبوية هي في مقام التفصيل.
(٣) شرح الزيارة: ج١، ص١٠٤.

الفيض والمدد الإلهي من المبدأ المتعال باستمرار، وهم يحتاجون الخالق دائماً، كما يقولون (لو لم نزدد لنفذ ما عندنا).

ويستمدون علمهم من الله عز وجل لذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام دائماً يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني» فكلامه يدلّ على إحاطته بنواميس العالم الأكبر، وتعمّقه في عالم التكوين والنشأة.

إذن فكل ما في الكتاب آفاقي الأنفسي التكويني والتدويني مدوّن في صدر هذا الكتاب الأنفسي الذي هو وعاء للعلم والإحاطة.

فمعرفة الله عز وجل تأتي عن طريق معرفة الإمام عليه السلام كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: في حديث النورانية عند ما سأله سلمان المحمدي وأبا ذر الغفاري: كيف نعرفك حق المعرفة؟ قال عليه السلام: من عرفني بالنورانية عرف الله عز وجل ومن عرف الله عز وجل عرفني بالنورانية.

على كل مُكلف أن يعرف إمام زمانه بأنه:

١- معصوم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

٢- إنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

٣- مفترض الطاعة قوله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.
(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.
(٣) سورة النساء: آية ٥٩.

لذلك قال أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام: «**إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره**».

وعندما سأله السائل: أصلحك الله ما معرفة الله؟

قال عليه السلام: «**يصدق الله ويصدق محمد رسول الله في موالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى من بعده والبراءة من عدوهم**».

قال: أصلحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الإيمان؟

قال عليه السلام: «**توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله**».

قال: من أولياء الله ومن أعداء الله؟

قال عليه السلام: «**أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين ثم انتهى الأمر إلى قائمهم، فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله**».

قال: ومن أعداء الله أصلحك الله؟

قال عليه السلام: الأوثان الأربعة «**الجبت والطاغوت واللات والعزى**».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالى**»[1].

فالواجب علينا أن نعرف إمام زماننا لأن الإمام مع باقي الأئمة وجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله هم آيات الله وبمعرفتهم نعرف الله سبحانه كما

---

(١) وفي حديث قدسي قال الله تعالى: «**إني لأدخل الجنة من أطاع علياً عليه السلام وإن عصاني وأدخل النار من عصى علياً وإن أطاعني**»، جواهر الحكم للسيد الأمجد، ج٢، ص١٢٩.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**بنا عُرف الله وبنا عُبد الله ولولانا ما عُرف الله ولولانا ما عُبد الله**».

وقال عليه السلام: «**نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا**»[1].

وفي الزيارة الجامعة القصيرة: «**ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله**».

وقد روت العامة والخاصة قول النبي صلى الله عليه وآله:

«**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»، جاهلية أي كفر ونفاق وضلال[2].

إذن إذا عرفنا آل محمد عليهم السلام عرفنا الله وعرفنا العبادة ووصلنا إلى الغاية الكبري وهي الجنة.

يأتي رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام ويقول له: ادعو لي أن أدخل الجنة.

قال الإمام عليه السلام كيف أدعو لك وأنت في الجنة؟

قال الرجل: كيف يابن رسول الله؟

قال عليه السلام: الجنة هي ولايتنا أهل البيت، بل ادعو الله عز وجل أن لا يخرجك منها.

---

(١) شرح الزيارة الكبيرة: ج٤، ص٨٠، ج١ ص٥.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: أبي جعفر محمد بن بابويه القمي: ص٢٨٨.

الخاتمة

خلاصة الدورة أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لمعرفته وعبادته، فالمعرفة هي العلة الغائية للخلق ولكن معرفة كُنه ذاته وحقيقته محال وممتنع حتى نبيّنا ﷺ الذي هو أشرف وأعلم الأنبياء والمرسلين لا يعلم قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، هو الظاهر هو الباطن حتى العقل والوهم والخيال وسائر المشاعر أيضاً عاجزة عن إدراك كنه ذاته إذ أنها في منتهى درجات البطون، أما آثاره فهي في أعلى درجات الظهور قوله تعالى في القرآن الكريم في خصوص بطون الذات ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[3]، ويقول في خصوص ظهور الآثار والصفات ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4]، والمراد من (وجه الله) عز وجل هو آثاره وصفاته التي تملأ جميع زوايا عالم الخلقة.

فانحصر تكليفنا بالمعرفة في الآثار والآيات المخلوقة من الآفاق والأنفس، فتستدل بالمخلوق على الخالق قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[5]، إلاّ أنّ أقرب الآيات وأجلاها لمعرفة الرب عز وجل هي أنفس الخلائق أي النفس الناطقة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»، لأن هذه النفس المخلوقة هي أقرب شيء للتوحيد من بقية المخلوقات الأخرى، وأن هذه النفس مخلوقة من نور الله عز وجل وليس المراد من

---

(١) سورة طه: آية ١١٠.
(٢) سورة الشورى: آية ١١.
(٣) سورة الأنعام: آية ١٠٣.
(٤) سورة البقرة: آية ١١٥.
(٥) سورة فصلت: آية ٥٣.

نـوره والعياذ بـالله من ذاته عز وجل بـل الله سبحانه خلق نـوراً شريفا ونسبه إلى نفسه كمـا نسب بيت الحرام الكعبة المشرفة إلى نفسه، وهذا النور ليس كمثله شيء من المخلوقات، فمن يعرف هذا النور المخلوق يعرف الله سبحانـه معرفـة حقيقة عن طريق خلقـه وهذا لا يأتـي إلاّ بالتربية الأخلاقيـة المروية عن أئمة الهدى عليهم السلام، فالـذي لا يربي نفسه لا يمكن له معرفـة هذه النفس لذا قال أمـير المؤمنين عليه السلام: «**من عرف نفسه**» أتى بمـن الشرطية، وجواب الشرط هي الفاء «**فقد عرف ربه**» أي الذي يريد أن يعرف توحيد الله سبحانه عن طريق النفس الناطقة القدسية لا بد له من تربية نفسه عن رذائل الأخلاق، والاتصاف بفضائلها.

وبمـا أن هـذه النفس مخلوقة من آثار نورهـم عليهم السلام، فيكون عليه أن كل معرفـة لتوحيد الله سبحانه فهي منهم، وهم ركن لتلك النفس الناطقة، أي لولاهـم عليهم السلام لما كانـت ولا عرفت التوحيد وهذا مصـداق كلام الإمام الباقـر عليه السلام: «**لولانا لما عـرف الله**» يعني لولا نورهم عليهم السلام الذي خلق منه النفس الناطقة المعرّفة للتوحيد، كما تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» لما عرف أحد معرفة الله تعالى.

الحمد لله رب العالمين

نسـأل الله تعالى بأوليائـه الطاهرين صلـوات الله عليهم أجمعين أن ينـور قلوبنا بالمعرفة واليقين، وأن يبصرنا عيوبنا ويوفقنا لتزكية أنفسنا بفضله وكرمه وجوده ومنّه وصلى الله على محمد وآل محمد.

زمزم منصور القطان

أم عبدالعزيز العوض

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الكلمات المحكمات - الميرزا علي الحائري.

٣- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة - الأوحد.

٤- التوحيد - الشيخ الصدوق.

٥- جوامع الكلم - الشيخ الأوحد.

٦- أصول الكافي - الكليني.

٧- حياة النفس وأصول العقائد - الشيخ الأوحد والسيد الأمجد.

٨- كمال الدين وتمام النعمة - ابن بابويه القمي.

٩- تفسير الثقلين - الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.

١٠- أصول الدين -الميرزا حسن الحائري الإحقاقي.

١١- جواهر الحكم - السيد كاظم الرشتي.

١٢- كتاب فكّر (المعروف بتوحيد المفضل) -المفضل الجعفي الكوفي.

١٣- جواهر أسرار التنزيل - الميرزا حسن الشهير بكوهر.

١٤- الآمالي - الشيخ الصدوق.

١٥- منار العارفين وبغية العابدين - الشيخ محمد أبو خمسين.

١٦- نهج البلاغة - الشريف الرضي.

١٧- حياة النفس - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي (الأوحد).

١٨- أصول العقائد - السيد كاظم الرشتي الحسيني.

١٩- بصائر الدرجات - الشيخ محمد الصفار.

٢٠- مذكرات دروس في العقيدة - الحاج ميرزا عبدالرسول الأحقاقي.

٢١- رسالة الطبيب البهبهاني في التوحيد ومراتبه - السيد كاظم الحسيني الرشتي.

٢٢- بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
- المقدمة	٧
- في التكليف	٩
أولاً: التكليف التكويني	٩
ثانياً: التكليف التشريعي	١٤
- في التوحيد	١٧
أولاً: الفطرة	١٧
ثانياً: دليل العقل	٢٠
- في مراتب التوحيد	٢٣
أولاً: توحيد الذات	٢٣
ثانياً: توحيد الصفات	٢٦
- ثالثاً: توحيد الأفعال	٣١
رابعاً: توحيد العبادة	٣٤
- هل يوجد ارتباط بين الحق والخلق؟	٣٥
- كيفية معرفة الله عز وجل	٤١
أولاً: الكتاب التكويني	٤٤
- ثانياً: معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم)	٦١
ثالثاً: معرفة الكتاب الناطق (أهل البيت عليهم السلام)	٦٤
٨- الخاتمة	٧١
٩- المصادر	٧٣